مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار السادس عشر
المجلد (٥) العدد (٣)
٢٠٢٤ (١-١٢)

مجلة أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

الأدب برجوازي والصورة ديمقراطية: بين جدلية التقاطعات في الإعلام الثقافي العربي

مريم لمفنن

*أستاذة، باحثة في سلك الدكتوراه، مختبر البحث التربية، الفن، الثقافة، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، **المغرب**، مركز البحث: الإنسان، المجتمع، التربية*

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١١ سبتمبر ٢٠٢٤م

الملخص

تروم هذه الورقة البحثية إلى مقاربة سؤال الأدب والثقافة في المشهد الإعلامي العربي، منطلقين من فرضية مفادها اعتبار خطاب الأدب برجوازي بمعناها النخبوي، وبأن خطاب الصورة ديمقراطي و لعامة الناس، حيث لعبت وسائل التواصل الجماهيري في تكريس العزوف عن الثقافة والأدب في ظل انتشار ثقافة شعبية تنحو نحو التنميط والابتذال، ما يجعل الأدب نخبويا ولا يحظى بالتلقي الكبير من طرف الجمهور، كما نسعى من خلال هذا البحث إلى الكشف عن التقاطعات التي ارتبطت بعلاقة الأدب والإعلام منذ بدايات الصحافة ودور الإعلام الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية، ودوره في تثقيف المجتمع، والنهوض بالإنتاج الفكري والإبداعي الأدبي، ودمقرطة الثقافة باعتبارها حقا للجميع، مما يخلق تفاعلا إيجابيا للإنسان مع محيطه الاجتماعي ويثمن أواصر الانتماء إليه، وضمان الأمن الثقافي للمجتمع حتى لا يكون ضحية للإيديولوجيات المختلفة، وللتنميط الثقافي وغياب الخصوصيات الثقافية المميزة لكل مجتمع من المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الأدب، الإعلام الثقافي، الصورة، الأمن الثقافي، ثقافة النخبة، الثقافة الشعبية

Abstract

This research paper aims to approach the question of literature and culture in the Arab media landscape, starting from the hypothesis that literary discourse is considered bourgeois in its elitist sense, while visual discourse is democratic and for the general public. Mass communication tools have contributed to the decline in interest in culture and literature amidst the spread

of a popular culture that tends toward standardization and triviality. This situation renders literature elitist and not widely received by the general audience. Through this research, we also seek to uncover the intersections related to the relationship between literature and media since the beginnings of journalism, the role of cultural media in preserving cultural identity, educating society, promoting intellectual and creative literary production, and democratizing culture as a right for all. This creates a positive interaction between individuals and their social environment, strengthens bonds of belonging, and ensures cultural security for society, protecting it from various ideologies, cultural standardization, and the absence of distinctive cultural identities for each community.

Keywords : literature, cultural media, visual discourse, cultural security, elite culture, popular culture.

*** مقدمة**

يعتبر الأدب قطب الرحى في الازدهار الفكري للأمم، والارتقاء بالإنسان، وذلك لوظائفه المتعددة، وإفادته من ملكة الخيال الخلاقة، ومساهمته في بناء المشهد الحضاري والثقافي للأمم فهو يمدها بأسباب الرقي والديمومة والتطور، وإذا ما شئنا أن نتأمل حركة تطور الأدب في ضوء مشهد الإعلام الثقافي العربي، إذ يبدو هذا التساؤل مشروعا للحديث عن دور الإعلام الثقافي وديمقراطية الصورة في نشر الأدب والثقافة، فلعل منعطفات العولمة والثورة التكنولوجية الهائلة والتطور السريع لوسائل الاتصال وظهور الإعلام الجديد، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي وضعت زمن الأدب والخيال في مواجهة الزمن الافتراضي ؛ وأمام مساحات قسرية جعلت من الأدب غير قادر على مواجهة التدفق المعلوماتي الكبير ومواكبة التغيرات المتسارعة في ظل طغيان ثقافة الصورة؛ كما أن إنسان القراءة والأدب تغير إلى إنسان افتراضي مؤمن حتى النخاع بكفاءة وسائط التواصل الجديدة والصورة وقدرتها على تحقيق التبادل الثقافي، وانتشار المعرفة والتواصل اللامحدود، على النحو الذي قد يفقد الأدب خصوصيته ويلحقه تابعا وهامشيا لسؤال ما بعد العولمة وفورة الوسائط التواصلية وهيمنة ثقافة الصورة ونسقها البصري.

لقد تطورت وسائل الإعلام في العقدين الأخيرين، وتنوعت حتى أصبحت تسيطر سيطرة كلية على ميادين المعرفة والحياة، واستمدت هذه الوسائل قوتها من التطور الحضاري والتقدم العلمي والتكنولوجي، بالإضافة إلى امتلاك وسائل الإعلام لسلطة التأثير ودورها في التغير وتوجيه الرأي العام؛ إذ تتنوع وسائل الإعلام من مكتوبة، وسمعية، ومرئية فضلا عن الإعلام الجديد الذي فرض نفسه وبقوة، فلا مناص من الحديث عن تأثيره القوي في عصرنا الراهن.

*** إشكالية البحث**

شهدت وسائل الإعلام في العقود الأخيرة تطورا كميا وكيفيا ملحوظا وتنوعت إلى أن أصبحت تسيطر على كل مناحي الحياة، وميادين المعرفة، من خلال التدفق المعلوماتي اللامحدود، فلم يعد التلفزيون وحده أداة ووسيطا معرفيا، بل

أصبحت روافد أخرى من خلال الإعلام الرقمي الجديد، الذي خلق لنا إنسانا افتراضيا، لكن تبقى وسائل الإعلام من سمعية ومرئية ومكتوبة تقاوم الزمن التكنولوجي، محافظة على استمراريتها، ففي ضوء التدخلات التكنولوجية والتغيرات التي تتعرض لها الثقافة العربية والعقل العربي، فقد يصبح المكون الأدبي غريبا أو دخيلا ومثار إشكال ثقافي ، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نتساءل عن ما هو دور الإعلام بشكل عام ، والإعلام الثقافي تحديدا في نشر الثقافة والأدب وتكريس الحالة الثقافية في المجتمع؟ وهل أثر تطور وسائل الإعلام وظهور" الإعلام الجديد " على التعاطي لمفهوم الأدب؟

*** فرضيات البحث**

١- مساهمة الإعلام الثقافي في نشر الثقافة والأدب في المجتمعات وحماية الهوية الثقافية.

٢- حضور المكون الأدبي في الإعلام الثقافي.

٣- تأثير تطور وسائل الإعلام وظهور" الإعلام الجديد " والإقبال على تلقي الأدب.

٤- يساهم الإعلام الثقافي من خلال برامجه في تلقي الأدب في ظل التطور الهائل الذي يعرفه العالم اليوم من خلال ثورة الثقافة البصرية والصورة ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥- طغيان الثقافة الشعبية على ثقافة النخبة من خلال انتشار الإعلام الجماهيري وطغيان ثقافة الصورة.

*** أهمية الدراسة**

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء عن حضور المكون الأدبي وتمثلاته في الخطاب الإعلامي، ورصد التعريفات الكلاسيكية التي ارتبطت بمفهوم الأدب، وكفاءة الإبداع الأدبي في مواجهة الثقافة البصرية والصورة والزمن التكنولوجي الذي صار ينافس زمن الأدب، كما سنعرض لتلقي الإبداع الأدبي بمختلف أجناسه ما بين إنسان "الأدب" والقراءة مقابل " إنسان العالم الافتراضي والصورة ووسائل التواصل الاجتماعي.

*** الإعلام الثقافي: سؤال التخصص نحو أفاق الإبداع الأدبي**

مما لا شك فيه أن الثقافة والإعلام يكملان بعضهما البعض، فكلاهما يمثل ظاهرة اجتماعية تطورت عبر الزمن، وبينهما علاقة تفاعلية. فالإعلام الثقافي مصطلح جديد يقوم على أساس فهم طبيعتي الإعلام والثقافة، وهو فهم ينبع من جوهر مشترك لهما وهو " التواصل".

*** مفهوم الإعلام الثقافي**

إن الإعلام الثقافي هو عملية تواصلية يتم من خلالها إرسال محتوى ثقافي، أو رسالة ثقافية معينة إلى المتلقي، مع النتائج المترتبة عن هذا التلقي في حالة وجود التفاعل، فإذا كانت مهمة الاتصال تقوم بنقل المعاني عن طريق الرموز من مرسل إلى مرسل إليه، فإن الإعلام الثقافي يعمل على نقل وعرض المضمون الثقافي عن طريق البرامج الثقافية المختلفة تماشيا مع السياسة الثقافية للدولة وللقناة؛ وذلك لما تشكله الثقافة بمعناها الفكري والفني والأدبي والإبداعي من صرح معرفي متين بغية تكوين متلقيين واعين يحملون موقفا نقديا ورؤيا للوجود، ومن هنا يأتي الإعلام الثقافي الذي يهدف إلى تقديم الثقافة من الوجهة الإعلامية والاتصالية إدراكا بالأهمية الكبرى والحاجة إلى دمقرطة الخطاب الثقافي، وخلق تأمين ثقافي للمجتمع وذلك لما لها من وظائف مختلفة، ومرتبطة ارتباطا وثيقا ببنيات التنشئة الاجتماعية الأخرى " الأسرة ، المدرسة ، المجتمع ..."

يضطلع الإعلام الثقافي بوظائف عديدة ما يجعله، ذو أهمية في السياسة الثقافية لوسائل الإعلام، فلا يقتصر الإعلام عن الترفيه واستهواء المشاعر، والتسلية، بل إلى أبعد من هذا حيث يسعى لرأب الصدع في المجتمع المعاصر الذي تطغى عليه المنافع المادية على حياة الناس وذلك حينما يسعى إلى إشاعة القيم الجمالية والفنية بين جمهور المتلقين، والحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية، وحماية التراث الثقافي والأدبي للأمة، عبر الإبداع الأدبي والفني الذي يشكل طوق نجاة، وسموا بملكة الخيال والإبداع ، ورقيا بالذائقة الفنية للجمهور علاوة على الوظيفة الاجتماعية التي يشير إليها "دوركايم" "وجروس" بالقياس إلى الفن، **أنه يخلق من مشاهديه والمعجبين به وحدة اجتماعية متماسكة، فهو وسيلة لخلق التضامن بين الناس في الهيئات والمجتمعات..."**[1]

*** في مفهوم الأدب**

يعتبر الأدب في المعيار الإنساني والحضاري حاجة ضرورية، لا يمكن لأي حضارة إنسانية أن تنفيها أو تقصيها من مشهدها الثقافي؛ كما يقول وليم هازلت:" إن أدب أي أمة هو الصورة التي تنعكس عليها أفكارها."[2]

لقد عرف مصطلح الأدب تطوره في الثقافة العربية بدءا بمعناه ؛الذي كان يقصد به الدعوة إلى مأدبة أو الوليمة، أو الدعوة إلى الطعام وفي ذات السياق يقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد " **نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآداب فينا ينتقر**"[3]سيتطور مدلول الأدب بعد ذلك في العصر الإسلامي ليدل على حسن الأخلاق ومكارمها مصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم" **أدبني ربي فأحسن تأديبي** "[4] وهنا ستتخذ اللفظة بعدا أخلاقيا، أما في العصر الأموي سيتداخل البعد الأخلاقي للكلمة مع البعد التربوي التهذيبي فقد استعملت للإشارة إلى المؤدبين الذين كانوا يضطلعون بمهمة تأديب وتعليم أولاد الخلفاء والأمراء بغية تعليمهم الشعر، والخطب ، واللغة ،وأخبار العرب، وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام. وقد استمر الجمع بين معنى التهذيب والتعليم في العصر العباسي وقد ألف ابن المقفع رسالتي الأدب الكبير " والأدب الصغير وهما رسالتان تحملان الكثير من الحكم والنصائح الأخلاقية. "**يمكن القول إن الكلمة كانت تطلق في القرنين الثاني والثالث الهجريين وما تلاهما من قرون على معرفة أشعار العرب وأخبارهم**"[5] فيقول محمد المبرد المتوفى سنة ه285 في صدر كتابه الكامل: " **هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور، وشعر موصوف، ومثل سائر وموعظة بالغة...**"[6] وقد عرف التراث العربي أمهات الكتب في الآداب التي امتازت

---

[1] سهير جاد: (1987) البرامج التلفزيونية والإعلام الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ط1، ص5.

[2] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D8%A8 اطلع عليه بتاريخ 06/20/2024

[3] http://mawdoo3.com اطلع عليه بتاريخ 06/20/2024

[4] http://mawdoo3.com اطلع عليه بتاريخ 06/20/2024

[5] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D8%A8 اطلع عليه بتاريخ 06/20/2024

[6] http://mawdoo3.com06/25/2024 اطلع عليه بتاريخ

بموسوعيتها وشموليتها في تناولها للقضايا الأدبية والنقدية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، كتاب " البيان والتبيين «للجاحظ ت255 هـــ.

ولقد عرف ابن خلدون الأدب في مقدمته بأنه: " **الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم، والأخذ من كل علم بطرف.**" وفي ثقافة العصر الحديث نجد تعريفات متعددة لمصطلح الأدب، حيث يعرفه الدكتور محمد مندور " بأن الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية"، ويقول أيضا أن الأدب نقد للحياة" ويرى الدكتور شوقي ضيف في تعريف للأدب بأنه " الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرا أم نثرا."

إن الأدب إذن كلام إنساني بشعره ونثره، يعبر عما يجول في خلجات الأنفس، وعن لواعج الذات وأحوالها، ومتناقضات الحياة سابحا في ملكة الخيال الخلاق، والإبداع من أجل منح الإنسان توازنه وصفاءه، ليكون بذلك طوق نجاة يشذب الحياة من شوائبها.

*** حضور الأدب في الخطاب الإعلامي**

عرفت الثقافة البشرية صيغا تعبيرية مثلت لمراحل مختلفة من تطور الوعي الإنساني وعكست سبل التعبير البشري، فمن المرحلة الشفاهية، ثم مرحلة التدوين التي عقبتها مرحلة الكتابة وصولا إلى الثقافة البصرية والزمن التكنولوجي " مع انتشار الثقافة البصرية وسيطرة الصورة التلفزيونية على وسائل الإعلام وتحولها إلى أداة ثقافية مهيمنة جاءت الدراسات النقدية حول هذا الخطاب الذي صار هو العلامة الدالة وهو المكون الأخطر للذهنية البشرية في الوعي وفي التأويل."[1] فلا أحد ينكر اليوم السلطة التي يمارسها الخطاب الإعلامي على المتلقي من خلال الميكانزمات المتعددة التي يشتغل بها، ما يجعلها تترك تأثيرها القوي والسريع، ومن هنا وجه النقد الثقافي أسئلته المشروعة حول تغير الأنساق والصيغ التعبيرية وطرائق الاستقبال والتأويل الثقافي"[2] بعدما عوضت أساليب التعبير التقليدية أخرى حديثة يعتبرها المتلقي أكثر كفاءة وقدرة على التوصيل والمخاطبة، إذن سنحاول هنا أن نساءل نسق الأدب وموقعه في الخطاب الإعلامي هذا الأخير الذي صار أكثر وفاءا وتيمنا بالصورة معتبرا إياها أبلغ تعبيرا "والصورة ثقافة وفكر وإنتاج اقتصادي وتكنولوجي وليست مجرد متعة أو محاكاة فنية، وهي لغة عصرية يشترط فيها تطابق القول مع الفعل وتمثل الحقيقة التكنولوجية بما إن الصورة علامة تكنولوجية ومؤشر إنتاجي ومنطق مستقبلي."[3]

إن حضور الأدب في الخطاب الإعلامي يمتد زمنيا إلى بدايات الصحافة، مع صدور أول صحيفة عربية ناطقة باللغة العربية،"كوريه دي ليجيبت" حيث كانت تنشر أخبار الأدب والدواوين الشعرية والفن في مصر وفرنسا لمؤسسها نابليون بونابرت إبان عصر النهضة وخلال حملته على مصر سنة 1798-1881، وقد كان صدور أول صحيفة عربية رسمية أسسها محمد علي باشا سلطان الديار المصرية عام 1828، حملت اسم " الوقائع المصرية" التي أشرف عليها رفاهة الطهطاوي؛ فمنذ بداية الصحافة لم يفارق الأدب ظهورها وأوجها، كما أن الأدباء ظلوا أوفياء لعالم الإعلام

[1] عبد الله الغذامي:(2005) الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، ط2، ص13.

[2] المصدر نفسه ص16.

[3] المصدر نفسه ص21.

الذي خول لهم انتشارا واسعا، فالرواية كجنس أدبي عرف ظهوره الأول من خلال الملاحيق الأدبية والثقافية التي يكتب فيها الأدباء أعمالهم الروائية والشعرية والنقدية التي كانت تنشر على الجرائد، قبل ظهورها في الكتب والمؤلفات، ما عرف آنذاك بالصحافة الأدبية والثقافية ، مثل مجلة الرسالة لصاحبها حسن هيكل خلال منتصف القرن العشرين التي كان صدورها يشكل حدثا ثقافيا في الوطن العربي، بعدها مجلة "شعر" لأدونيس ، ولقد عرف الأدب المهجري طريقه إلينا وانتشاره في المشهد الثقافي العربي من خلال الصحافة عن طريق مجلة "الفنون" التي كان يشرف عليها نسيب عريضة، فكانت تعنى بالإبداع الأدبي المهجري، بعد تأسيس الرابطة القلمية على يد كل من جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، إليا أبو ماضي ..."

إن صلة الأدب بالصحافة صلة وثيقة ذات وشائج متينة فهذه الأخيرة تفيد من الأدب باعتباره رافدا من روافدها إن على مستوى اللغة الأدبية وثرائها أو على مستوى المحتوى الثقافي والأدبي.

وللخطاب الإعلامي دوره الأساس في تكريس المكون الأدبي حضورا وممارسة في إثراء الذائقة الجمالية للمتلقي، فلم يفارق الأدب عالم الإعلام حتى بعد ظهور التلفزيون الذي حظي بمساحة واسعة من الانتشار والتلقي، نظرا لطبيعته كوسيلة إعلامية تعتمد على الصورة والكلمة المرافقة لها، كما يقول الدكتور عبد الله الغذامي:" **ولقد جاءت الصورة لتكسر الحاجز الثقافي والتمييز الطبقي بين الفئات، فوسعت من دوائر الاستقبال وشمل ذلك كل البشر، لأن استقبال الصورة لا يحتاج إلى إجادة القراءة، وهو في الغالب لا يحتاج إلى الكلمات أصلا.**"[1] هناك تحول من المكتوب إلى المرئي نحو ثقافة بصرية صرف، فكيف إذن تجلى مكون الإبداع الأدبي في الخطاب الإعلامي المرئي؟

لقد اهتم التلفزيون بالإبداع الأدبي من خلال الإعلام الثقافي الذي يسعى إلى تقديم البرامج الثقافية المتنوعة التي تعرض للنشاط الأدبي وفنونه، من شعر، ورواية، وقصة، ومسرحية، والقضايا النقدية، وتضع العديد من القنوات العربية في خطة البرمجة حيزا للمجال الثقافي من خلال برامج تعنى بما هو ثقافي وأدبي.

خارطة الطريق نحو جماهير عريضة، مهتما بقطاعات واسعة من حياة الناس التي أضحت تشارك في مناحي الحياة المختلفة، كما أن الطفرة الهائلة في تكنولوجيات الاتصالات والإعلام جعلت الأجهزة والمعدات في متناول الجماهير.

*** مفهوم الإعلام الجماهيري**

لعل ما جاء به التقدم الاقتصادي، وانتشار التعليم، ثم بروز مقولات الديمقراطية ونظمها وتقدم التكنولوجيا والاتصال اعتبر مفصليا في دخول وسائل الإعلام والاتصال في حياة الناس اليومية، إذ أنه تعمق في البنيات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية بحيث صار الاستغناء عن وسائل الاتصال أمرا يوحي بالعودة إلى زمن التقهقر ، والتخلف أو الوقوف في وجه تيار جارف بلا هوادة يجتاح جل المجتمعات الصناعية منها والنامية على حد سواء، فبينما كانت النخب وقادة الرأي توجه بوصلة وسائل الإعلام ردحا من الزمن في شتى المجالات، فقد غير الإعلام الجماهيري بوصلة خارطة

[1] المصدر السابق ص 22.

الطريق نحو جماهير عريضة، مهتما بقطاعات واسعة من حياة الناس التي أضحت تشارك في مناحي الحياة المختلفة، كما أن الطفرة الهائلة في تكنولوجيات الاتصالات والإعلام جعلت الأجهزة والمعدات في متناول الجماهير.

ويعرف مفهوم " الجماهير " تغيرا ومرونة حسب الحقول المعرفية التي يوظف فيها "الحقل السوسيولوجيا أو السياسي ..." ويكتسي طابع المرونة للدرجة التي استخدم فيها بمضامين سلبية تارة وبمضامين إيجابية تارة أخرى.

إن كلمة " **جمهور" تعود للجذر اللغوي الرباعي جمهر: وفق معجم الصحاح، فإن جمهور الناس جلهم، وجمهروا عليه التراب، أي جمعوا عليه التراب ولم يطينوه."**[1] وهي بمعنى جمع التراب أو الحجارة دون أن يلحم بينها بوسيط يوحدها أو يزيد من تماسكها، **"وفي الاستخدامات الإعلامية المختلفة نجد المفهوم يشير إلى جموع من الأفراد الذين يربطهم إما اهتمام ضعيف أو مؤقت أو أن اجتماعهم جاء بالصدفة أو من خلال المكان."**[2] ولفهم أكثر عمقا لهذا المفهوم وجب النظر إلى الجمهور باعتباره خليطا من العناصر التي قد ترتفع درجة التماسك بينها أو تتقلص تبعا للمحددات، ويتحكم الخطاب الإعلامي في هذه المحددات حيث جعل من مفهوم " الجماهير " مفهوما أكثر مرونة وغموضا في الوقت ذاته، فالجماهير أحيانا ترادف مفهوم "الشعب" أو مفهوم الأكثرية من "الشعب" وقد ترادف الطبقات الأكثر فقرا وتخلفا من المجتمع، وقد تعني جموع الناس المستهلكين لبضاعة معينة، وتتكون هذه المرادفات بسبب التوسع في وسائل الإعلام من جهة، وفي اختلاط الخطاب الإعلامي بالخطاب السياسي والشعبي والتجاري من جهة أخرى.

ويشير الباحثان " ميرل ولويشتاين" بأن وسائل الإعلام تتطور خلال ثلاثة مراحل، وفقا لطبيعة الجمهور الذي تتجه إليه، فوسائل الإعلام تتطور في أي مجتمع من إعلام صفوة إلى إعلام جماهيري ثم إلى إعلام متخصص.

في المرحلة الأولى تتوجه وسائل الإعلام ورسائلها الإعلامية إلى قادة الرأي والنخب، وقد يكون السبب في ذلك انتشار الأمية وقلة الوعي والمنسوب الثقافي وانتشار الفقر ونقص الإمكانيات الإعلامية، ثم يتطور الإعلام بعد ذلك ليجذب إليه الجماهير العريضة التي بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية في المجتمع، تبدأ في تكوين دور فاعل وهام في تقرير الأمور، وبهذا يصبح الإعلام جماهيريا وأكثر ديمقراطية، وفي مرحلة الإعلام المتخصص توجه رسالتها إلى قطاعات صغيرة ومحددة ومتخصصة من المواطنين."[3]

*** ثقافة النخبة في مواجهة ثقافة الجماهير**

إن ما يتم عرضه من برامج ثقافية أدبية تستهدف جمهورا مثقفا يمتاز بوعي ناقد ورؤية نافذة للعمق، فقد ظلت هذه الفئة المثقفة من الجمهور مهيمنة على الساحة الإعلامية وبات خطابها النخبوي المؤسساتي سيد الموقف. كما كان

[1] محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: معجم المختار، مادة جمهر، دار الرسالة، الكويت.

[2] عزام محمد أبو الحمام:(2005) الإعلام الثقافي جدليات وتحديات، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان الأردن، ص 39.

[3] John Merrill and Ralph (1971). Lowenstein Media messages, p 33.

الأدب ممثلا للأمة وللناس لكفاءته واعتباره أمثل خطاب للتعبير عنهم، فعل لا يزال الأدب يحظى بالاهتمام والتفاعل إيجابا كما كان ويراه المتلقي أصدق صيغة للتعبير عنه أم أنه فقد مصداقيته في زمن ما بعد الحداثة حيث كل الصيغ التعبيرية خضعت للتقويض والتشكيك في قدرتها على توصيل الأصوات المغيبة، ومعالجة الواقع، وكشف المسكوت عنه، بكل تناقضاته بعد طغيان ثقافة الصورة وظهور وسائط تواصلية اجتماعية في متناول الجميع، مثل وسائط التواصل الاجتماعي التي أفرزتها الثورة التكنولوجية الهائلة.

يعرف الواقع الاجتماعي الثقافي اليوم تغيرا جذريا، بحيث تغيرت قوى التأثير ومن كانوا يحملون مشعله من قادة فكر وأدباء صار صوتهم خافتا لايجدون رجع الصدى" يأتي التغير الثقافي بتحوله من الخطاب الأدبي إلى خطاب الصورة ومن ثقافة النص إلى ثقافة الصورة."[1] ممهدا لسقوط ثقافة النخبة وظهور ثقافة الجماهير واستقواءها. قد يتساءل سائل هنا لماذا برز الخطاب الجماهيري وثقافة التنميط بهذا الشكل الكبير؟ ولماذا تقهقر الخطاب الثقافي وزمن الأدب لم يعد مهيمنا؟

*** لماذا الأدب برجوازي والصورة ديمقراطية؟**

إن مقولة " **الأدب برجوازي والصورة ديمقراطية** "[2] تبرز بشكل كبير نخبوية الخطاب الأدبي الذي ظل يتمركز حول نخب معينة كانت تمتلك وسائل إنتاج الخطاب الأدبي النخبوي لما كانت تتوفر عليه من أدوات للفكر والثقافة ، واللغة **"بما أنها تمتلك أداة التعبير في وسط أمي أو غير مؤهل لامتلاك ناصية الكتابة"**[3] وديمقراطية الصورة بأنها لكل الشعب ، إلى جانب ذلك كانت فئات من المهمشين ظل صوتها مغيبا قابعا في الهامش دون أن يلامس المتن أو يقربه، لعدم امتلاكه الوسائل والأدوات، إلا أن جاءت الثورة التكنولوجية وبرزت ثقافة الصورة، والأنترنيت ، والهواتف الذكية، ووسائل التواصل الاجتماعي لتميط اللثام عن هذه الفئة لكي تعبر عن نفسها وتصدح بصوتها مما فتح لهم باب التعبير على مصراعيه، وبشكل سريع ومباشر أيضا ، وبالتالي تغير النسق الثقافي النخبوي إلى نسق ثقافي شعبي ، ليتم عكس المعادلة حيث صار صوت المثقف مشروخا ؛هذا الذي كان يملك زمام المبادرة ويضطلع بالدور الريادي، الشيء الذي أفقده سلطته ورمزيته وتحولنا إلى نسق ثقافي تطغى عليه التفاهة واليومي العادي، تم معه تنميط الحياة الثقافية في قوالب مهترئة، وكائنات رقمية مستلبة في دائرة الأرقام ، فأرقام متابعي البرامج الثقافية لا تتعدى نسب قليلة ، وأرقام مبيعات الكتب كذلك لاتتجاوز النسبة ذاتها، بينما أرقام متابعة المسلسلات المدبلجة وبرامج الترفيه والتسلية، تتعدى الملايين، كما أن "سرعة الانتشار" والبوز والشهرة صارت تحصى بالأرقام المليونية للمشاهدات التي تأتي بكبسة زر إلكتروني ، على موقع "اليوتوب " نموذجا، كما أن الحدث العادي من الحياة اليومية الرتيبة يصبح مثار إعجاب وتداول تواصلي في العالم الافتراضي والواقعي ليحاط بهالة من الإعجاب والانتشار اللامحدود، كما أنه يكفي أن تعد أغنية استهلاكية ، بلغة مبتذلة تستقي معجمها من" اليومي الشعبي" حتى تجد له متابعين ومعجبين بالملايين بغض النظر عن

[1] عبد الله الغذامي:(2005) الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، ط الثانية، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص 22.

[3] نفسه، ص50.

شاعرية الكلمات، وعمق المعنى، وجودة اللحن، والإبداع في الموسيقى أو الأداء، هي مفارقة إذن جوهرية في ثقافة العصر الآن " لم يحدث قط في أي تاريخ بشري أن صار الفكر جوهريا أو صار طالبوه بالملايين"[1]إن ملايين الجماهير كانت سابقا دون أثر، محجوبة عن الأنظار مرت على الحياة الثقافية وتاريخها مرورا عابرا دون أثر، لاتملك وسيلة لكي تقول " نحن هنا" وهذا صوتنا " إن فقدان الوسيلة هو الشيء الذي قد حجب صوت الجماهير، ثم حينما تملكت الجماهير الوسيلة تمكنوا من الإعلان عن أنفسهم وعن آراءهم."[2] لعلنا لسنا أمام أزمة ثقافة ، وانهيار صرح الخطاب الثقافي الأدبي ، بقدر ما أننا أمام أصوات أمكنها الزمن التكنولوجي وديمقراطية ثقافة الصورة من الظهور بعد عقود عجاف من التهميش ، لتكشف عن خطابها المخبوء ، ووعيها الثقافي الشعبي الذي لم يكن يمثله الخطاب الأدبي النخبوي.

*** زمن الإبداع الأدبي في مواجهة زمن الصورة والبصري**

لعدة قرون متعاقبة ظل الأدب خطابا مهيمنا وحاضرا بقوة في مختلف الحضارات والأمم، باعتباره وجها من أوجه زهو الحضارة ورقيها، ممثلا حقيقيا لضمير الأمة، وعلامة مميزة على ثقافتها، بعيدا عن كونه متعة أدبية فقط، قريبا من عمقه وكفاءته على اعتباره منبعا معرفيا يستقي منه الدرس العلمي بمناحيه التاريخية، والاجتماعية، والفلسفية، " وقد كانت الفلسفة تقوم على الشاهد النصوصي الأدبي منذ أفلاطون وأرسطو ودريدا" [3]

ولعل التحليل النفسي مع صاحبه "سيغموند فرويد " الذي جعل من النصوص الملحمية الأسطورية " أسطورة أوديب" مثلا مصدرا لقراءة العقل الباطن وفهم اللاشعور الإنساني ورصد مناطق العتمة فيه من أجل إضاءتها، كما اعتمد " ليفي شتراوس" على أساطير أدبية وحكايات خيالية، في البنيوية الأنثروبولوجيا، فلا يعدو الخطاب الأدبي خطاب متعة وتسلية فقط ، بل خطابا معرفيا وفكريا ذو سلطة علمية مما جعل دور الأدب قطب رحى في مختلف الثقافات والأمم، فكم من حضارة نصبت تمثالا لأحد أدباءها وشعارها، كما ظل الإنجليز ردحا من الزمن يباهون الأمم، ويفاخرون بشكسبير؛ ولعل ما كان يقام من أفراح وأعراس لميلاد شاعر في قبيلة من القبائل بالجزيرة العربية لدليل واضح على ميلاد الشاعر" المعجزة" الذي يملك سحر الكلام والبيان، وبيت شعري أو قصيدة يجعل قبيلته تعلو فخرا وزهوا بين القبائل الأخرى، فهو حامي حماها، والمتحدث عن أمجادها وأيامها وعظمتها، لقد كان فعلا بقوة منطق الصحراء و حياة البدو وثقافتهم جهازا إعلاميا مؤثرا بشكل كبير، فقد استطاع بقوة ملكته أن ينتج خطابا مؤثرا "لكل أمة رأي في نفسها تسنده إلى أدبها."[4] ولقد كان الأدب هو ما يعكس الواقع ويصوره، إذ أبدع أدباء وشعراء في تصوير حالتهم الوجدانية والشعورية كما الواقع أيضا، بشاعرية فذة خلاقة وخيال جموح ينفث الحياة وماء الإبداع في الجماد، و لم يقتصر ذلك على الشعر وحده بل تعداه إلى الرواية والقصة القصيرة، والمسرح، ومختلف الإنتاجات الإبداعية الأدبية ، حيث الأمثلة كثيرة في أدبنا

[1] المصدر نفسه ص 57.
[2] نفسه ص 58.
[3] نفسه ص 23.
[4] المصدر السابق ص 24.

العربي من شعر المعلقات في الشعر العربي، هذا "الشعر" الذي ظل الإنسان العربي يراه أسطورته وسرا من أسراره العميقة، دائم الحضور في مخياله الثقافي ووعيه، حلم رؤيا وحلم يقظة.

لعل الزمن التكنولوجي بوسائله المبتكرة الذكية، وبجمهور الملايين الذي يشجع الثقافة التي تخاطب الوعي الجماهيري كما سلف الحديث عنها سابقا، أشد وطأة وثقلا على زمن الإبداع الأدبي حيث صار التعاطي مع هذا الأخير بشكل ضئيل، مع صعود الخطاب الشعبي وتنامي ثقافة الصورة **" فلم يبق من فنون الأدب إلا ماهو قريب من فن الصورة والدرامية مثل الرواية والخطاب السردي عموما، والسرد خطاب كان سائدا زمن الشفاهية عبر الحكاية ويعود له المجد الآن مع ثقافة الصورة. وتتلاشى فنون قولية مثل الشعر لارتباطه الشديد بالنخبوية والفحولية."**[1] وبالتالي ما يعرف عصرنا اليوم من سطوة تكنولوجية جعلت الأدب أمام امتحان قسري ، فمنعطف العولمة كان أكثر حدة في تدخله " وكان سؤال العولمة أحد أخطر هذه المنعطفات وأكثرها مضاء..."[2] وتغيره بوصلة وجهة الثقافة والإبداع الأدبي نحو الثقافة الاستهلاكية والنمطية والتسطيح بما تشتغل به من تقنيات ووسائل وآليات تعمل على مخاتلة الزمن الأدبي واقتناص فرصه في التأثير والظهور والاستقواء **" ومن ثم حصار العقل الثقافي لتدجينه وإلحاقه بمقتضيات العقل العولمي ."**[3] إن الاستسلام والاستجابة لرياح العولمة، وسطوة التكنولوجي ، والاندفاع التلقائي في دواليبها ، يشير إلى إمكانية التخلي عن عراقة الإبداع الأدبي ، وعن عوالم تخيلية وعن الحلم ، والرؤيا، والتجربة الإنسانية ،ومعنى الحياة، في حضرة الأدب.

يقتضي منطق التحدي تحدي الزمن الافتراضي والتكنولوجي ، الاستناد إلى ركائز متينة ومقومات صلبة ، وجرأة في الموقف تنم عن وعي عميق وإدراك كبير لأهمية خيار الدفاع عن زمن الإبداع الأدبي وإنسان القراءة في مواجهة الإنسان الافتراضي، وعن مدى فعالية القراءة ودورها في بلورة وتشكيل الوجه الحضاري للشعوب والأمم ما يستدعي تحريض العقل العربي الراهن على مدى كفاءة الواقعي والخيالي، وكفاءة الأدب، وفعالية القراءة وجدواها فهي ارتفاع بالعقل وخلاص من السذاجة والسطحية، لما تمنحه من تحصين منيع من الانزلاق والاستيلاب من طرف ثقافة التنميط حيث يكف المتلقي من كونه مجرد رقم ينضاف إلى نسب المشاهدة ليكون حاملا لمشروع إنساني له مصفاة من الوعي والإدراك والنقد يعرف كيف يرشح الجيد من الرديء .

إذن هل سيظل الأدب حاضرا في مستقبله، قادرا على تحصين نفسه، كلما اشتدت رياح الثورة التكنولوجية والميديا قوة وعملت على اجتياح أرض الإبداع الأدبي الخضراء بكل مامتلكه من وسائل وآليات اجتياح، وهل ستستمر " الروح الإنسانية" الحالمة في توقها لكلمات الأدب " المعجزة" بشعره ونثره وفنه المسرحي، تسري في وجدان المتلقي، سريان الماء الزلال، تخاطب تجربته الإنسانية بكل تلاوين الحياة فيها، حيث تتداخل الأبعاد في لغة الأدب شعره

[1] عبد الله الغذامي:(2001) النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، ص 32.

[2] محمد صابر: (2013) تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى الممارسة، الطبعة الأولى، ص 27.

[3] المصدر نفسه ص 27.

ونشره، متحديا مناهضا كل الحواجز التي وضعتها سطوة الصورة وزمنها التكنولوجي والافتراضي في سعي دؤوب إلى إخماد جذوة قبس الإبداع، والخيال.

بعيدا من فضاء الافتراضي والرقمي، قريبا من حساسية الزمن ببعده الواقعي والحقيقي حيث يحتفي الأدب بكل سبل الحياة ومقوماتها. فهل نشهد إنسانا عربيا متمثلا ومدركا لضرورة الثقافة بمعناها الفكري والمعرفي والأدبي، وأكثر تصالحا مع إنسانيته ليشكل حضورا فاعلا قادرا على الإنتاج لا متلقيا سلبيا ورقما في عداد ملايين الأرقام.

*** خاتمة**

لقد سعينا من خلال هذه الورقة البحثية على تقصى مفهوم الأدب والإعلام وجدلية التقاطعات المرتبطة بهما في علاقة الثقافة والأدب وحضورهما في المشهد الإعلامي السمعي البصري وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي والصورة على تلقي الأدب والثقافة النخبوية فكان صلب اهتمامنا هو القبض على ذاك الخيط الرفيع الذي يربط الإعلام بالثقافة والأدب، حيث تمكننا من أن نستشف مجمل هذه الملامح التي شكلت وجها متكاملا للخطاب الإعلامي الثقافي ، ومساهمته في نشر الثقافة وإيصال التراث الثقافي والإبداع الأدبي العربي بصيغة حيوية متفردة ومتجددة ، في تجلي جمالي للثقافة العربية بمختلف مكوناتها ومقوماتها ما يجعل منا أمة حضارية في الراهن كما كانت في السابق ، شرط تهيئ الفرصة المثالية لنا لنكون جزءا فاعلا بقوة في حضارة هذا العصر، بغية الدخول في غمار حلقات التطور لكن ما يحول أمام تحقق هذه الرؤيا الحلم، هو عدم توفرنا على المحركات الصحيحة لتأسيس ميكانيزمات الفعل الحضاري، فالثقافة بما أنها نمط حيوي ديناميكي متجدد من التفكير والسلوك الراقي الذي يحاور الاختلاف والانفتاح ، في ارتباط أصيل بخطة مؤسساتية تنهض انطلاقا من خبرة وفهم معرفي عميق فما نحتاجه من اشتراطات موضوعية وذاتية لبلوغ هذا الهدف الأسمى، يجعل من شرط تمرين العقل العربي على القراءة ضرورة حتمية لبلوغ ثقافة تنبع من نهر القراءة العميق الذي لا ينضب ماؤه، مسلحة بوعي حر نقدي فهي وحدها لها الكفاءة الموضوعية في إعادة الإنسان العربي " إنسان القراءة " للمشهد الحضاري الحديث بصورة أكثر إشراقا واكتمالا ما يجعلنا منتجين للفكر والمعرفة متلقين فاعلين في التاريخ الإنساني الراهن لا مفعول بهم بواسطة الغزو الثقافي والتدجين العولمي والاستيلاب التكنولوجي والثقافة الاستهلاكية وغزو الصورة وقد خلصنا في هذا البحث إلى أبرز النتائج التالية:-

١- بأن الإعلام الثقافي يساهم في نشر الثقافة والأدب في المجتمعات ويحمي الهوية الثقافية.

٢- لقد أثر تطور وسائل الإعلام وظهور" الإعلام الجديد "خاصة على تراجع لإقبال على تلقي الأدب في ظل التطور الهائل الذي يعرفه العالم اليوم من خلال ثورة الثقافة البصرية والصورة ووسائل التواصل الاجتماعي.

٣- عرفت المشهد الثقافي العربي بروز الثقافة الشعبية على ثقافة النخبة من خلال انتشار الإعلام الجماهيري وطغيان ثقافة الصورة التي اعتبرت كوسيلة ديمقراطية بين الناس جعلت فئات من المغيبة أصواتهم من الظهور والانتشار هذه الأصوات التي لم تتمكن سابقا من التعبير عن ثقافتها بسبب هيمنة ثقافة النخبة على الإعلام الرسمي.

* المراجع

أولاً– المراجع العربية

سهير جاد: (1987)، البرامج الثقافية في الإعلام الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى.

عزام محمد أبو الحمام:(2010)، الإعلام الثقافي، جدليات وتحديات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى.

محمد عبيد صابر:(2013)، تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى الممارسة، منشورات دار الأمان، الطبعة الأولى.

عبد الله الغذامي:(2005)، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية.

عبد الله الغذامي: (2000)، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الثانية.

أبو أصبع صالح: (1997)، تحديات الإعلام العربي، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى.

واليا شيلي:(2006) صدام ما بعد الحداثة، إدوارد سعيد وتدوين التاريخ، ترجمة عبد المعطي عفاف، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى.

ثانياً– المراجع الأجنبية

Arendt hannah :(1989) La crise de la culture, folio Essais.

Eagleton Terry :(2016) yale universty press , london.

John Merrill and Ralph (1971). Lowenstein Media messages, p 33.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D8%A8 اطلع عليه بتاريخ 06/20/2024

http://mawdoo3.com اطلع 06/20/2024 عليه بتاريخ

http://mawdoo3.com اطلع 06/20/2024 عليه بتاريخ

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D8%A8 اطلع عليه بتاريخ06/20/2024